ISSN 2170-0796

إستراتيجية الخطاب الديني عند الشيخ محمد راتب النابلسي

الأستاذ :العيد علاّوي - المركز الجامعي الطارف

مقدمة:

لا يخامرنا أدنى شك أن الساحة الإعلامية في السنوات الأخيرة شهدت حضورا بارزا للعديد من الشخصيات الدعوية تجاوزت لغة الخطاب الديني القديم، و حاولت تجديد الخطاب الديني و تحديثه – مظهرا و مضمونا و أسلوبا و لغة -؛ من أجل أن يواكب المتغيرات و المستجدات و التحديات المعاصرة، و من هؤلاء الدعاة الشيخ مُحَمَّد راتب النابلسي الذي سنحاول أن نتتبع ملامح التجديد في خطابه، أو بالأحرى بنية الخطاب الديني عنده، و كذا المنهج الذي يسلكه في إيصال خطابه أو رسالته، و سنتخذ محاضرته " العبادة و الأخلاق " التي ألقاها في المجالس العلمية الهاشمية الأردنية، و كذا بعض الدروس و المحاضرات المرئية و المكتوبة منطلقا؛ لبيان ملامح التجديد في خطابه.

تعريف الخطاب الديني:

ذهب بعض الباحثين إلى أن الخطاب الديني هو نفسه منهج الدعوة الإسلامية، و عرفوا منهج الدعوة الإسلامية بأنه مجموعة الطرق أو القواعد أو الإجراءات التي تحدد السبل المثلى لممارسة الدعوة الإسلامية و الضوابط الخاصة بكل عنصر من عناصر عملية الاتصال الدعوي لضمان تحقيق الدعوة لأهدافها بما يساعد على الوصول إلى الحق و تحقيق الفهم السليم للإسلام و مواجهة تحديات التي تواجه الأمة الإسلامية [1].

و قد حظي الخطاب الديني باهتمام بالغ من قبل المسئولين في العديد من الدول الإسلامية و على رأسها مصر و السعودية لتطوير الخطاب الديني و تحديثه بما يساعد على تحقيق الهوية الإسلامية و مواجهة التحديات المتعددة الراهنة في مختلف المجالات [2].

و قد رأى أحد الباحثين أن تطوير الخطاب الديني يكون بالتركيز على مخاطبة العقل والاعتماد على العلم وتصحيح المفاهيم المغلوطة والأفكار الخاطئة على أسس موضوعية بعيدة عن الانفعال و التشنج [3]

التعريف بالشيخ النابلسي :

الشيخ مُحَمَّد راتب النابلسي عالم من علماء دمشق ، ينتهي نسبه إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولد في دمشق من أسرة حظها في العلم كثير، فوالده كان عالما من علماء دمشق، فقد كان مدرسا في مساجد دمشق، وترك مكتبة كبيرة تضم بعض المخطوطات .

التحق بمدارس دمشق الابتدائية، والإعدادية، والثانوية، ثم التحق بمعهد إعداد المعلمين، وتخرج فيه عام 1956 م، وبعدها التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة دمشق عام 1964 م حصل على ليسانس في آداب اللغة العليا، وحصل في عام 1966 م على دبلوم التأهيل بتفوق، ثم التحق بجامعة ليون فرع لبنان، وحضر فيه شهادة الماجستير في الآداب؛ حيث وافقت وزارة الثقافة والإرشاد القومي في الجمهورية العربية السورية على طبع الكتاب موضوع الأطروحة على نفقتها، وقد حصل على شهادة الدكتوراه في التربية في جامعة دوبلن في بريطانيا في موضوع تربية الأولاد عام 1999 م .

عمل في حقل التعليم الثانوي الرسمي ثم الجامعي، حيث عين أستاذ في كلية التربية بجامعة دمشق بدءا من عام 1969 م حتى عام 1999 م، وبعدها عين أستاذا لمادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول العقيدة الإسلامية بجامعة الأزهر في مجمع أبي النور وأستاذا لأصول التربية في جامعة طرابلس الإسلامية .

ألف أو شارك في تأليف عدة كتب متعلقة بعمله الوظيفي أبرزها كتاب (من أدب الحياة) وهو كتاب المطالعة مقرر لشهادة الدراسة الثانوية بفرعيها الأدبي والعلمي (...) شارك في تأليف كتاب أصول تدريس اللغة العربية لطلاب الدراسات العليا (دبلوم التأهيل التربوي) في كلية الشريعة في جامعة دمشق [4] .

ISSN 2170-0796

طلب العلم الشرعي في وقت مبكر من حياته ، ونال إجازة في رواية الحديث النبوي الشريف من أستاذه الدكتور صبحي الصالح أستاذ علوم القرآن والحديث وفقه اللغة في دمشق من أبرز مؤلفاته:

(1) موسوعة الأسماء الحسنى، (2) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، (3) آيات الله في الآفاق ، آيات الله في الإنسان، (4) نظرات في الإسلام، (5) تأملات في الإسلام، (6) ومضات في الإسلام، (7) كلمات مضيئة ولقاءات مثمرة مع الشعراوي، (8) الإسراء والمعراج، (9) المعجزة (10) الله أكبر، (11) مقومات التكليف، (12) الرد على الباب.

أقوال رجال الدين والصحافة في النابلسي

أعجب الكثير من رجال الدين سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين بخطاب النابلسي، ومن هؤلاء نشير إلى شهادة أسقف سان باولو الذي قال فيه " استمتعنا جدا بحديث لسماحة الشيخ محمد راتب النابلسي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، وكان حديثه في غاية الأهمية لجميع الحضور على اختلاف مذاهبهم وطيافهم؛ لأنه ارتقى إلى مستوى رفيع جمع بين الدين والعلم وأعطى صورة لله الذي كلنا نعبده ـ لقد كانت كلماته حافزا قويا للجميع للتفتيش عن الله في كل خلائقه، وأرجو بل كم كنت أتمنى أن يعيد هذا الحديث أمام طلاب الجامعات في هذه المدينة وكل المدن كي يتعلم طلابها أن يفتخروا بالله وبأعماله الحكيمة " [6] .

ومن أقوال الصحافة نذكر قول الصحفي " صالح النعامي " الذي عنون مقاله (ميت ....من لا يستمع لهذا الرجل) ثم أردف العنوان قائلا: " فكرت مليا قبل إصداري هذا الحكم؛ لأنه قد يتضمن إطلاقا مخلا لكن هذه قناعتي؛ بل وأعجب كثيرا لمن يتمكن من الاستماع إليه ثم لا يصل إلى ذات القناعة "[7] .وفي مقال لـ " ميشال شماس " عنون بـ ((فيروز .... والشيخ النابلسي)) قال فيه عن النابلسي " ولازلت أذكر في السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي كيف نصحو على صوت فيروز وهي تشدو بصوتها في صباح جديد (...) واليوم لم نعد نصحو على صوت فيروز ولا حتى على صوت الديك وهو يصيح معلنا بداية يوم جديد من عمرنا . اليوم نفاجئ بصوت الشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي يرافقك بمواعظه وأحاديثه الدينية حتى تصل إلى مكان عملك ...[8] .

وكتب " مهنا الحبيل " مقالا بعنوان (النابلسي ... تسبيحات الشام العظيم في الرسالة) "... طاولة بسيطة ورائها متحدث ... ما أكثر الحديث هذه الأيام، لكن المتحدث هنا مختلف أم أننا أصبحنا نحن المختلفون ؟ كلا الأمرين و النتيجة واحدة ... لكنه ليس واعظا ولا يرفع الخطاب ويخفضه ولا يتهدد ولا يتوعد، فما باله قد اقتحم القلوب، وكيف دخل إليها بهدوء دون أن ينافس ساحتها وسوقها المحتشد. شيء غريب... أم أن الناس أصبحوا هم الغرباء على دينهم ؟ يخرج الدكتور محمد راتب النابلسي لكي يختطفك بلا مقدمات حتى ما تكاد تفيق إلا وأنت أحد تلاميذه ... هناك عن بعد ... حيث الشام ، وما أدراك ما الشام (...) يقولون إنه طبيب قلت بالضبط، إنه كذلك ولكنه طب الروح وغذاء الفكر؛ إنه خطاب الهداة إلى الإنسانية التائهة ..." [9] .

ومن خلال هذا القول وغيرها من الأقوال نقف على أول خاصية يتميز بها النابلسي قبل أن ندلف إلى ملامح تجديد الخطاب الديني عنده، وتتمثل هذه الخاصية في **الهدوء** التي تميز به، فقد جاء في القول السابق لمهنا الحبيل قوله عن النابلسي الذي لا يرفع الخطاب ويخفضه ولا يتهدد ولا يتوعد، فما باله قد اقتحم القلوب، وكيف دخل إليها بهدوء ...، وهذه الخاصية التي اهتدينا إليها من سماعنا و مشاهدتنا لدروس الشيخ قبل أن نرى ونتعرف ونقف على هذه الشهادات. و الى جانب ملاحظتنا و استنتاجنا و وقوفنا على الشهادات السابقة وجدنا هذه الخاصية - **الهدوء** - متضمنا في عنوان لمجلة الرسالة الإلكترونية التي عنونت مقالا لها عن النابلسي بـ **" هدوء المتمكن "** جاء في بعض أسطره ما يلي: - من يشاهد الدكتور محمد راتب النابلسي وهو يجلس خلف مكتبه الصغير ولباسه التقليدي والديكور البسيط المحيط به يعتقد للوهلة الأولى أنه أمام واعظ رتيب ممل لا يختلف كثيرا عن وعاظ الفضائيات الدينية الذين يكررون نفس الخطاب الديني المتأرجح بين الترغيب والترهيب (...) والذين لا يمعنون النظر بخطاب الشيخ قد ينصرفون عنه قبيل أن يدركوا كم فاتهم من فيض الفتوحات الإيمانية والفكرية التي يلهم بها الشيخ مجيبيه ومتابعيه (...)، ومن لا يتابع الشيخ سيعرف ولو متأخرا كم هي الخسارة التي خسرها بعدم متابعة البرنامج الذي يقدمه الشيخ بهدوء المتمكن ." [10]

ISSN 2170-0796

ملامح تجديد الخطاب الديني عند النابلسي(منهجه في الخطاب)

إذا كانت لغة الخطاب الديني للداعية تعني القدرة على التعبير بسلاسة ووضوح والقدرة على استخدام أساليب الإقناع والتأثير للوصول إلى الجماهير التي يتوجه إليها[11] ، فهذه الصفات نجدها ماثلة في شخص النابلسي الذي جدد على مستوى المظهر، كما جدد على مستوى الخطاب ،إذ نلفيه بغير لحية ،كما يلقى جمهوره في الكثير من المحاضرات باللباس العصري، وفي بعض دروسه ومحاضراته يلقاهم بالجبة والطاقية، وهذا تجديد من صميم التجديد نلفيه عنده. فبه وبغيره لم يعد الداعية ذلك الشخص الذي له لحية ويرتدي عمامة وجبة هذا التجديد على مستوى المظهر أما على مستوى الخطاب فنوجز بعض خصائص خطابه الديني فيما يلي:

جمال المقدمة وروعتها :

إذا كان النقاد قديما يعدون مطلع القصيدة " داعية الانشراح ومطية النجاح " [12] حق لنا كذلك أن نعد مقدمة الخطاب الديني داعية الانشراح ومطية النجاح، فإذا وفق الداعية في اختيارها، فلا شك أنه يمسمر سامعيه ويشدهم إليه، وهذا ما نجده عند النابلسي، ومن بين المقدمات التي يفتتح بها خطابه قوله: " الحمد لله نحمده ، ونستعين به، ونسترشده ، ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلن تجد له وليا مرشدا، ونشهد أن لا إله إلى الله وحده لا شريك له ، إقرارا بربوبيته وإرغاما لمن جحد به وكفر، ونشهد أن سيدنا مُحَمَّد ﷺ رسول الله، سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر ، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحابه وعلى ذريته ومن والاه، ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علما ، وأرنا الحق حقا، وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين، و أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات.[13] أو قوله: " بسم الله الرحمان الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد الصادق الوعد الأمين "[14].

الحفاظ على الوظيفة الاتصالية أو الانتباهية :

بمعنى أن الشيخ النابلسي يستعمل عبارات يحافظ بها على الاتصال بينه وبين الجمهور، أو بالأحرى يضمن بها بقاء الاتصال وسلامته ، ومن هذه العبارات نداؤه لسامعيه بعبارة " **أيها الإخوة** "، و تارة أخرى بـ " **أيها الإخوة الكرام** "؛ بل ويكثر من استعمالها، فمثلا في محاضرة أو خطبة أسباب النصر، استعملها[15] خمس عشرة مرة، وهذا يشاكل أسلوب القدماء الذين كانوا يستعملون ألفاظا يحافظون بها على حبل الود الموجود بينهم وبين القارئ أو السامع، ولذلك نجدهم يستعملون عبارات منها: **"اعلم حفظك الله"** أو **"اعلم أيدك الله "**...وهلم جرا، ولاشك أن استخدام مثل هذه العبارات واستخدام أدوات العطف وجمل الربط يجنح إليها الداعية أو الخطيب حتى لا تكون فجوات في أسلوبه ،كما يلجأ إليها حتى لا يفاجئ السامع بفكرة جديدة، وهذا ما لاحظناه في خطاب النابلسي ، فعندما يريد الانتقال من فكرة إلى أخرى ينادي سامعيه بعبارات منها: **"أيها الإخوة الكرام"** أو بعبارة **"هناك حقيقة أخرى"**، أو بعبارة **"أيها الأخوة الكرام شيء آخر"** أو عبارة **"بقي شيء أيها الإخوة"** ...الخ

ذكر الحقائق :

وهذه الحقائق هي بمثابة عبارات مسكوكة تتلو عبارة **"هناك حقيقة أخرى"** التي يعتمدها النابلسي من أجل أن ينتقل بسامعيه إلى فكرة أخرى، أو هي حقائق أو سنن كونية، وقد تكون تعاريف دقيقة يصوغها.

والمتأمل والمتتبع لخطاب النابلسي يجده يكثر من استعمالها، ومن هذه العبارات ما يلي [15]

الحقيقة الأولى : أن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح .

الحقيقة الثانية :مستحيل ألف ألف مستحيل أن يتخلى الله عنا.

- ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد.

- العبادة في بعض تعاريفها الدقيقة "طاعة طوعية ممزوجة بمحبة قلبية أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادة أبدية".

- الأخلاق في جوهرها استقامة و عمل صالح.

ISSN 2170-0796

الأخلاق كف للمنكرات وفعل للطاعات.

يقع على رأس زمرة الهرم البشري صنفان: الأنبياء والأقوياء.

الأنبياء ملكوا القلوب.

الأقوياء ملكواالرقاب .

الأنبياء عاشوا للناس .

الأقوياء عاش الناس لهم.

الأنبياء أعطوا ولم يأخذوا.

الأقوياء أخذوا ولم يعطوا.

والناس جميعا تبع لنبي أو قوي، ولهذا أحب الناس الأنبياء وخافوا من الأقوياء، وبطولة الأقوياء أن يتخلقوا بأخلاق الأنبياء حتى يحبهم الناس.

لولا الشهوات لما ارتقينا إلى رب الأرض والسموات.

لأننا بالشهوات نرتقي مرتين: نرتقي شاكرين ونرتقي صابرين.

فالشهوات إما سلم نرقى بها أو دركات نهوى بها .

ولذلك ليس في الإسلام حرمان في الإسلام تنظيم.

التوحيد نهاية العلم.

التقوى نهاية العمل.

ولذلك فالعبادة التعاملية هي الأصل ولن تصح العبادة الشعائرية إلا إذا صحت العبادة التعاملية.

الذي كذب بالحسنى "انتهى إلى أن الدنيا هي نهاية الآمال ومحط الرحال".

والمتأمل لهذه الحقائق أو لهذه العبارات المسكوكة يلحظ أنها تتصف بالدقة، " والدقة من الأمور الهامة في صياغة الرسالة الدينية حتى يأمن ويطمئن السامع له، كما نلحظ استعمالا لكلمات أو عبارات ذات مقاطع قليلة استخدم فيها السجع أو الجناس، وهذه الأساليب من شأنها أن تعطى الشعور بالقوة، ومن شأنها أن تحقق التأكيد، ومن الأشياء التي من شأنها أن تخلق الإحساس بالتأكيد، ظاهرة **"كسر الإيقاع"**، وذلك بوضع الجملة القصيرة بين عدة جمل طويلة [17]، كما نلمس في هذه العبارات المسكوكة أو الحقائق دقة علمية أو النتيجة الحقيقية – إن صح التعبير - وبخاصة عندما يرفقها الشيخ النابلسي بالحجاج - والذي سنتحدث عنه لاحقا - مما يجعل السامع يقتنع بها.

اعتماد الإشارة في الخطاب :

لقد أولى العرب القدامى أهمية كبرى للإشارة، ومن الذين تحدثوا عنها العلامة الجاحظ الذي ذهب في كتابة البيان والتبين إلى أن الإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ. [18]

ولعل من يشاهد برامج الشيخ النابلسي يلحظ اعتماده على الحركات المتناغمة التي تجذب انتباه الملتقى وتدفعه للاستماع والمشاهدة،وبهذا فالإشارة هي التي تزيد لغة الخطاب الديني قدرة على الإقناع والتأثير، ولعلنا نقارب الصواب إن قلنا إنها من الأساليب المؤثرة في الخطاب الديني، فبالإشارة يلمس السامع الصدق في التعبير، وذلك لأنها توحي بانفعال الظاهر مع الباطن، وقديما قالوا: **"ليست النائحة كالثكلى"**.

اعتماد الحجاج في الخطاب :

لعل المتتبع للدرس اللساني الحديث المعاصر وبخاصة التداولي منه يدرك أن الحجاج يحظى بمكانة في التحليل التداولي ،فإذا كان الإقناع أحد الشروط التي يقتضيها التداول ،فقد رأى طه عبد الرحمان أنه على الطرف المحاور أو المخاطب أن يسلك سبل الإقناع بتقديم الحجة والدليل لإقناع الطرف الآخر وحمله على اعتقاده [19]. وبهذا فالخطاب الحجاجي يوجه للتأثير على أراء المخاطب أو المستمع وسلوكاته ، وذلك يجعل أي قول مدعم صالحا أو مقبولا كنتيجة بمختلف الوسائل [20].

ISSN 2170-0796

ومن ينعم النظر في خطابات النابلسي يجده يعتمد على الحجاج والتي في الغالب لا تخرج على الأنواع الآتية :

– الحجج النقلية

– الحجج العقلية

ج)- الحجج الواقعية

أ– **الحجج النقلية** :لا يختلف اثنان ولا يتناطح عنزان أن الحجج النقلية سواء أكانت من الكتاب (القرآن) أو السنة هي حجج دامغة يكمم الخطيب أو الداعية بها سامعه ، ومن يتأمل ويشاهد خاطبات النابلسي يجده يصدر أحكاما ، أو يعدد أقساما لا يكاد السامع يصدقها أو يقتنع بها من الوهلة الأولى حتى يفاجئ بالحجة أو بالدليل النقلي وفي هذا السياق نستشهد بتقسيمه لأنواع النصر [21].

1- النصر المبدئي.

2- النصر الاستحقاقي.

3- النصر التفضلي .

4- النصر الكوني.

فلا شك أن السامع قبل سماعه لهذه الأنواع كان يتوهم أن النصر واحد،وحين يسمع بها لا يكاد يستوعب هذا حتى يعرف الأساس الذي بنيت عليه هذه الأنواع ، وفي تبرير هذا يقول الشيء النابلسي:

–**النصر المبدئي** : لذلك قالوا هناك انتصار مبدئي ، يكفي أن تكون مؤمنا ذا علاقة سليمة ،أن تكون موحدا،أن تكون مستقيما ، ولو مات الإنسان كان منتصرا انتصار مبدئيا –(ثم يسوق الدليل ب أصحاب الأخدود و ماشطة بنت فرعون).

النصر الاستحقاقي : يقول كانتصار الصحابة يوم بدر ثم يسوق قوله تعالى: (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) آل عمران 123 .

النصر التفضلي : يقول الآن نسأل الله إن لم نستحق النصر الاستحقاقي أن ننتصر تفضلا كما انتصر الروم على الفرس ثم يسوق الآيات.

النصر الكوني : يقول أما إذا كان الفريقان المتصارعان بعيدين عن الدين بعد الأرض عن السماء ، فالذي ينتصر هو الأقوى ،الذي يملك السلاح الأكثر جدوى (...) والمعركة بين حقين لا تكون، لأن الحق لا يتعدد، وبين حق وباطل لا تطول، لأن الله مع الحق،وبين باطلين لا تنتهي .

ومما سبق نخلص إلى أن النابلسي يعتمد على النقل في إثبات أحكامه أو تقسيماته أو آرائه أو استنباطاته .كما نلحظ تأثره الواضح بالشيخ محمد متولي الشعراوي وهو الذي أجرى معه لقائين [22] في عام 1996 م.

ونقف على هذا التأثر في ترديده – النابلسي – للعبارة التي كان يرددها الشيخ الشعراوي دائما وكانت أخر كلامه وهو على فراش الموت ألا وهي: (المعركة بين حقين لا تكون لأن الحق لا يتعدد وبين حق وباطل لا تطول، لأن الله مع الحق ،وبين باطلين لا تنتهي).

و تبرز جلية في إجابته عن السؤال الذي وجهته له مجلة الفرقان و الذي فحواه : ما مصادر ثقافة النابلسي ؟ وكان تفسير الشيخ الشعراوي من بين المصادر التي ذكرها.

و تجدر الإشارة أيضا يضا أيضضيبيبأن اعتماد النابلسي على الحجاج النقلي ظهر بقوة وتميز وبدقة متناهية في محاضرة " القوة " لمن أراد التأكد. بحيث رأى أن :

التوحيد قوة /2-العلم قوة /3- العبادة الخالصة قوة /4- الدعاء قوة

/5- الاعتزاز بالله قوة /6- الجمال قوة /7- العفة قوة /8- التسبيح قوة

/9- الاستغفار قوة /10- التقوى قوة /11- الاستقامة قوة /12- الإيمان قوة مطلقة .

ISSN 2170-0796

ب)- الحجج العقلية : إذا كان الحجاج "جنس خاص من الخطاب يبنى على قضية أو فرضية خلافية يعرض فيها المتكلم دعواه مدعومة بالتبريرات عبر سلسلة من الأقوال المترابطة ترابطا منطقيا قاصدا إقناع الآخر بصدق دعواه، والتأثير في موقفه أو سلوكه تجاه تلك القضية " [23] ، وبهذا فالغرض الحجاجي للخطاب يكون بجعل موضوع الخطاب ممكنا بالرجوع إلى العقل[24] ،وقد ذهب بعض الدارسين إلى أن استخدام الاستدلالات العقلانية ضرورية للداعية باعتبارها تعتمد على مخاطبة عقل الملتقى وتقديم الحجج والبراهين والشواهد المنطقية .... [25] ، ومن المنطق رأى الدكتور محمد منير حجاب أن ابتعاد الكثير من الدعاة في لغة خطابهم عن مخاطبة العقل بالأدلة الواضحة والبراهين والشواهد وغير ذلك في عصر سمي بعصر المعلومات من السمات التي تؤثر على مسار الدعوة وموقف الناس منها ، وتجعلنا نقول إن لغة الخطاب الديني لم تتمكن من استيعاب حتى أقرب الناس إليها وهم جمهور المسجد ... [26] .

وما نسوقه من أمثلة لبيان اعتماد النابلسي على الحجاج العقلي ما احتج به في محاضرة المجالس الهاشمية الأردنية وبالذات عند حديثه عن الشهوات، حيث شبهها بالوقود قائلا : "إنها كالوقود السائر في المرتبة إذا أذيع في المرتبات المحكمة وسار في الأنابيب المحكمة وانفجر في الوقت المناسب وفي المكان المناسب ولد حركة نافعة أقلتك أنت وأهلك إلى مكان جميل، أما إذا صب هذا الوقود على المرتبة ورميت فوقها شرارة أحرق المرتبة ومن فيها " [27].

وفي السياق نفسه يتحدث عن الشهوة مستعملا الحجة العقلية قائلا " الشهوة في الإنسان كالمحرك في المرتبة ، و الشرع هو الطريق المعبد، والعقل كالمقود ، ومهمة المقود أن يحافظ على بقاء المرتبة على الطريق وهي تنطلق بفعل الشهوات "[28].

ومن الحجج التي اعتمادها في إثبات وجود الله قوله في برنامج **الإيمان هو الخلق** " أنا حينما أدخل إلى جامعة وأطلع على المباني والمخابر وقاعات التدريس والحدائق وبيوت الطلبة أستنبط استنباطات عديدة جدا أن وراء هذا البناء مهندسا كبيرا ومصمما له خبرة عريقة في الجامعات وفي حاجات الطالب الجامعي وله خبرة عريقة في طريقة إلقاء الدروس. صممت القاعات على شكل مدرجات، وفيه عزل وفيه تكبير للصوت، أنا حينما أدقق في جامعة وفي أبنيتها وفي مرافقها وفي مخابرها وفي قاعات التدريس فيها ، أستنبط أشياء كثيرة جدا هذا الاستنباط يكون عن طريق العقل" [29] .

ولعل من ينعم النظر في هذا الحجاج يجده يخاطب العقل بالحجة العقلية ،ويلفيه يعلي من شأن العقل في إدراك الأشياء ، ويواصل حديثه مبينا أن العقل قاصر على إدراك بعض الأشياء وقد لا يتوصل إليها إلا بالنقل،وفي هذا الشأن يقول " لكن هل يمكن مهما كنت عبقريا أن أعرف من هو رئيس الجامعة، ومن هم عمداء الكليات ، وما نظام القبول وما نظام النجاح والرسوب. لا بد من كتاب، فالتفكر في خلق السموات والأرض أرقى عبادة على الإطلاق ، لأنك بالكون تعرفه ، لكن لماذا خلقني؟ ولماذا أوجدني؟ وبما كلفني ؟ لا بد أن أرجع إلى وحي السماء.إذن أنا أتفكر في الكون فأتعرف إلى عظمة الله على قدرته على علمه على رحمته إلى حكمته، لكن حينما أقرأ القرآن أعرف من خلاله لماذا خلقني ،وماذا يريد مني ،وما المنهج الذي ينبغي أن أسير عليه،وما أسباب سلامتي وما أسباب سعادتي ..." [30] .

ومن خلال ما تقدم يمكننا القول – ولعل كل من يشاهد ويتابع النابلسي يشاطرنا الرأي- إن النابلسي يتميز بالتخطيط في خطابه الديني،وبعبارة أدق يتميز باختيار وترتيب كل من اللفظ والمضمون وكذا الحجة.ولا شك أن " الداعية لاستخدامه لهذا الأسلوب يتسق مع لغة الخطاب القرآني،فالقرآن دعا إلى استخدام العقل وتنميته بالفكر والمعرفة والاجتهاد ليكون سلوك الإنسان متفقا مع العقل السليم [31] .

جـ- الحجج الواقعية :

من الأساليب التي يعتمد عليها الشيخ النابلسي لإقناع سامعيه الاستشهاد بالحجج الواقعية الحقيقية،ومن ذلك نذكر استشهاده في محاضرة المجالس العلمية الهاشمية الأردنية بقصة الإمام الذي كاد أن يبيع دينه بعشرين (20) بنسا في لندن ، والظاهر أن أغلب الدعاة يستشهدون بها ومنهم الدكتور عمرو عبد الكافي والدكتور محمد العريفي وغيرهم.وكذا استشهاده في **خطبة القوة** وبالذات في بند **الإصرار قوة** بقصة رواها له عالم جليل : وهي أنه كان في صعيد مصر إنسان أمي في الخامسة والخمسين من عمره، لا يعرف السماء من الأرض ، ولا الطول من العرض، وقد ذهب ابنه الشاب إلى الأزهر في القاهرة، وبعد سنوات عدة عاد ابنه إلى قريته

ISSN 2170-0796

خطيبا لمسجدها،جلس أبوه في المسجد يستمع لخطبة ابنه، وبدل أن يمتلئ قلبه فرحا بما وصل إليه ابنه من علم ودعوة امتلئ قلبه حسرة على عمره الذي أمضاه في الجهل والغفلة واتخذ قرارا مصيريا، ورتّب حمارته الهزيلة متجها بها من صعيد مصر إلى أزهر القاهرة، واستغرقت الرحلة عشرات الأيام، ولما وصل إلى القاهرة... سأل أين الأزعر ؟، فقيل له أي أزعر إنه الأزهر، فالتحق به وتعلم القراءة والكتابة،ثم قرّ القرآن ثم طلب العلم ...وما زال يطلب العلم حتى انتهى به العلم إلى أن صار شيخ الأزهر، بل ما مات إلا وهو شيخ الأزهر،وهو أعلى منصب ديني في مصر وشيخ الأزهر بمرتبة رئيس الوزراء .

اعتماد القصة وسيلة للتربية والتوجيه والدعوة :

تعد القصة من الأساليب المهمة التي استخدمها القرآن الكريم للعظة والعبرة، فقد ذكّر لنا الكثير عن الأمم الماضية وما حدث لهم ووصف حياتهم ومعاشهم وعقيدتهم وموقفهم من رسل الله إليهم(...).وبهذا يكون القرآن قد قدمها كنماذج للدعاة يهتدون بها في أساليب الخطاب كأسلوب من أساليب الدعوة الإسلامية [32] . ،ولو تتبعنا القصص التي اعتمدها في **خطبته القوة** نجدها كالآتي:

قصة الحجاج بن يوسف الثقفي والحسن البصري.

قصة سليمان بن عبد المالك وعطاء بن أبي رباح .

قصة الصحابي المغمور جليبيب.

قصة يونس عليه السلام .

قصة رستم قائد فارس والصحابي سعد بن أبي وقاص.والصحابي ربعي بن عامر

قصة أبي الصعيد الذي صار شيخا للأزهر.

قصة يوسف عليه السلام.

قصة ماشطة بنت فرعون.

اعتماد التهييج العاطفي و الوجداني للسامع:

ولعل هذا التهييج و التأثير و الانفعال يحدث من خلال اعتماد القصص و الحجاج، و كذا جمال المقدمة التي سبق الحديث عنها، و في كل العناصر السابقة التي تحدثنا عنها من لفت انتباه بحميمية و ذكّر الحقائق ، فكل هذه الآليات من شأنها أن تستميل السامع و الملتقي، و نأخذ مثالا من خطاب المجالس الهاشمية الأردنية عن الذي يهيج السامع و يهز وجدانه ، (قصة الراعي وابن عمر) يقول النابلسي بعد عرضه للقصة (هذا الراعي وضع يده على حقيقة الدين. أنت لما تقول: أين الله؟ وصلت إلى أربع أخماس الطريق) [33]. فمخاطبة السامع بأنت و تاء وصلت من شانها أن تهيج وجدانه.

أما و إني قد وصلت إلى هذه الملامح التجديدية التي يتسم بها خطاب النابلسي من دون أن أتطلع على شيء أهتدي به في هذه الدراسة. إلا لما أني فرغت منها وقع في يدي حوار أجرته جمعية الفرقان مع النابلسي نفسه ، فكان من بين ثنايا هذا الحوار سؤال تضمن أغلب هذه الملامح أو بالأحرى آليات التجديد التي اعتمدها في خطابه ، فكان أن سأله المحاور بقوله : (قلة من الناس من يصل حديثهم إلى العقول و القلوب و الأرواح معا و مباشرة ، و نحن نحسبك من هؤلاء بل إن بعضنا يحب أن يلقبك بشيخ القلوب و العقول و الأرواح خاصة ، و أن دروسك كلها تجمع بين العلم و التربية في ظل كثرة المعلمين و قلة المربين) [34] .

فأجابها قائلا : (و الله أنا عبد فقير و لست محترفا ، و أسمي نفسي داعية هاويا ، و النجاح في الحياة رزق من الله تعالى و فضل منه سبحانه، و قد أوضحت في كتابي " نظرات الإسلام " أن المنهج الأمثل للدعوة هو المنهج المستنبط من الكتاب و السنة ، وذكّرت ملامح هذا المنهج : التعريف بالأمر قبل الأمر، و الأصول قبل الفروع ، والقدوة قبل الدعوة، و الإحسان قبل البيان ، و الترغيب قبل الترهيب، و التيسير لا التعسير، و التفهيم لا التلقين، و التربية لا التعرية ، و التدرج لا الطفرة ، والمتفق عليه لا المختلف عليه، و مخاطبة العقل و العاطفة معا، واعتماد الدليل و التعليل، و التركيز على المبادئ لا على الأشخاص ، والمضامين لا العناوين، و التأكيد على الكلية المعرفية و الكلية السلوكية و الكلية الجمالية) [35].

ISSN 2170-0796

خاتمة:

صفوة القول: هذه آليات التجديد أو ملامح التجديد للخطاب الديني للنابلسي، و هي بمثابة أسس تشكل بنية خطابه ، و أنعم بها من أسس فأغلبها مستنبط أو يسير على خطى الخطاب القرآني أو المنهج التربوي النبوي، و حري بالدعاة و العلماء أن يسلكوها من أن يحققوا رسالتهم الدينية.

الهوامش والإحالات:

1- ينظر: محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2004، ص: 24 – 25

2- المرجع نفسه، ص: 254.

المرجع نفسه، ص: 25.

ينظر السيرة الذاتية للنابلسي: موقع النابلسي www.nabulsi.com.

ينظر مجلة الفرقان : في ضيافة العلامة الدكتور محمد راتب النابلسي، موقع النابلسي .www.nabulsi.com

ينظر: شهادة الأسقف مطران الكنيسة الأرثوذكسية، سان بلولو في 07/02/2001، موقع النابلسي www.nabulsi.com

صالح النعامي: ميت ...من لا يسمع لهذا الرجل، موقع النابلسي www.nabulsi.com

ميشال شماس: فيروز والشيخ النابلسي، موقع النابلسي www.nabulsi.com

محمد الحبيل، النابلسي، تسبيحات الشام العظيم في الرسالة، موقع النابلسي ، www.nabulsi.com

10- ينظر: المجلة الالكترونية شهرية تصدر دوريا عن قناة الرسالة الفضائية -العدد الأول- أبريل 2009، عمود د.محمد راتب النابلسي، هدوء المتمكن، ص: الغلاف.

11- ينظر: محمد منير حجاب: المرجع السابق، ص: 253

12- ينظر: فاطمة البريكي: قصة التلقي في النقد العربي القديم، دار العالم لعربي للنشر والتوزيع، دبي، الإمارات العربية، ط1، 2006، ص: 213

13-من فوائح خطب النابلسي المرئية منها ، و كذا خطبة أسباب النصر ، يرجع إلى موقع النابلسي www.nabulsi.com

14- من بعض خطب النابلسي المرئية أو المكتوبة.

15- هذه الحقائق أو هذه العبارات أو التعابير المسكوكة من بعض خطبه المرئية و المكتوبة نحو أسباب النصر بموقعه ، و المرئية نحو المجالس العلمية الهاشمية و الايمان هو الخلق .

16- ينظر: محمد منير حجاب ، المرجع السابق ، ص :279

17-المرجع نفسه، ص : 270

18- الجاحظ ، البيان والتبين ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط 5، 1985 م ، ص:76

19- طه عبد الرحمان، في أصول الحوار و تحديد الكلام ، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر ،ط2 ، الدار البيضاء ، المغرب 2000، ص:37-38

20- ينظر: حمدي جودي منصور ، استراتيجية الحجاج التعليمي عند الشيخ البشير الابراهيمي ، مقال الطلاق أنموذجا، الجزء الأول، مجلة كلية الآداب و العلوم الانسانية و الاجتماعية ، العدد 5 جوان 2009، ص:386.

21- ينظر: موقع النابلسي www.nabulsi.com، محاضرة أسباب النصر.

22- ينظر: لقاءات، موقع النابلسي www.nabulsi.com.

23- ينظر: حمدي جودي منصور، المقال السابق ، ص:386.

24- ينظر:هنريش بليث ، البلاغة و الاسلوبية – نحو نموذج سيميائي لتحليل النص - ترجمة وتعليق: محمد العمري ، أفريقيا الشرق ، د.ط ، ص:25.

25- ينظر: محمد منير حجاب ، المرجع السابق ، ص:275.

26- المرجع نفسه، ص:258.

27-و28- النابلسي محاضرة ملقات في المجالس العلمية الهاشمية في الأردن و هي محاضرة مرئية على اليوتوب youtube.

29-و30- النابلسي محاضرات في برنامج الإيمان هو الخلق ، محاضرة مرئية على اليوتوب youtube.

31- ينظر: محمد منير حجاب، المرجع السابق، ص: 257.

32- المرجع نفسه، ص:291.

33-محاضرة المجالس العلمية للنابلسي على اليوتوب youtube.

34-و35- ينظر: محاورة نضال العبادي ، مجلة الفرقان، العدد 76 ، رجب 1429 هجرية تموز 2008، موقع النابلسي www.nabulsi.com